

التبيان في تفسير القرآن

(285) وقال قوم: إن حكمها ثابت. والمراد بها: ان الذين آمنوا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود، والنصارى، والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق، واسلموا عند العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم: كمن آمن في أول الاسلام من غير نفاق، ولا عناد، لان قوما من المسلمين قالوا: إن من أسلم بعد نفاقه، وعناده كان أجره اقل وثوابه انقص. وأخبرنا بهذه الآية أنهم سواء في الاجر والثواب. وأولى الاقاويل ما قدمنا ذكره. وهو المحكي عن مجاهد والسدي: ان الذين آمنوا من هذه الامة، والذين هادوا، والنصارى، والصابئين من آمن من اليهود، والنصارى، والصابئين باق واليوم الآخر، فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون، لان هذا اشبه بعموم اللفظ. والنخصيص ليس عليه دليل. وقد استدلت المرجئة بهذه الآية على أن العمل الصالح، ليس من الايمان، لان الله تعالى أخبرهم عنهم بأنهم آمنوا، ثم عطف على كونهم مؤمنين. أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمها. قالوا: ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل، فقد ترك الظاهر. وكل شئ يذكره مما ذكر بعد دخوله في الاول مما ورد به القرآن: نحو قوله: " فيهما فاكهة ونخل ورمان " (1). ونحو قوله: " وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم، منك ومن نوح " (2). ونحو قوله: " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا " . وقوله: " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله " (3). قالوا: جميع ذلك مجاز. ولو خلىنا والظاهر، لقلنا: إنه ليس بداخل في الاول. فان قالوا: أليس الاقرار، والتصديق من العمل الصالح؟ فلا بد لكم من مثل ما قلناه، قلنا عنه جوابان: احدهما - ان العمل لا يطلق الا على افعال الجوارح، لانهم لا يقولون: عملت بقلبي، وانما يقولون: عملت بيدي او برجلي. والثاني - ان ذلك مجاز، وتحمل عليه الضرورة. وكلامنا مع الاطلاق.

(1) سورة الرحمان آية 8 (2) سورة الاحزاب آية 7 (3) سورة محمد آية 1 (*)